نشأة الشخصية اليهودية

لقد كان مولد الشخصية اليهودية حدثا مشهودا في تاريخ البشرية، وذلك بعد أن تسرّب الشيطان إلى الطينة البشرية المتأصلة فى عشرة نفوس طيبة، كانت كل نفس منهم تعتبر قبسا من نور شمس النبوة في صدر يعقوب (إسرائيل) عليه السلام.

وشيئا فشيئا تمكن منهم الشيطان، واستحوذ على أحلامهم ودوافعهم؛ إيذانا بتكوين شخصية «بني إسرائيل». لقد تملّكهم الشيطان كلا على حده، ثم جمع بينهم، ولمّ شملهم برباط القوة وحب السيطرة؛ لأن هؤلاء الأجداد اليهود قد كانوا يتألمون من مرارة الوحدة، والانعزالية، وخور الطاقة، وضعف الشخصية، ونقص الإحساس بالأنا فى عين أبيهم «يعقوب» وفى أعينهم أيضا.

ولقد كان رباط القوة ذلك الذى ربط بين قلوب إخوة يوسف مفتولا من رفض الشعور بالإهمال؛ والذى قد تولد من عدم حب الوالد لهم؛ كمقدار حبه للصغيرين (يوسف وبنيامين عليهما السلام).

ولأن الشيطان كان قد صور لهم أن كلا منهم بمفرده ضعيفٌ، ووضيعٌ، وصفر الكيان بذاته المنفصلة في عيني أبيهم الشيخ، إذن لقد كان

لزاما أن يتحدوا جميعا ويشكلوا عصبة قوية تقدر على لفت أنظار أبيهم وتغريه بالاهتمام بهم، ووضعهم في مكانتهم التي يطمحون إليها.

ولكن الذي أضرم غيظهم وأجج اشتعاله هو أن أباهم لم يلتفت إلى قوتهم، ولم يكترث كثيرا بتكتلهم الجديد، واستمر الأب في حبه وعطفه على الصغيرين، وكذا استمر في إهمال الأشقاء الكبار من وجهة نظرهم.

بل إن أباهم لما رآهم متكتلين في هذه العصبة العصبية العرقية؛ ذلك أنهم أشقاء لنفس الأم ونفس الأب، بينما هم أشقاء «يوسف» وأخيه من الأب فقط، حينئذ جعل الأب يتمادى في تقريبه ليوسف وأخيه، ولقد بات جليا لكل من في الأسرة أن «يوسف» وأخاه هما أحب إلى أبيهم منهم.

هنالك توقدت نار الحسد والغيرة في نفوسهم إزاء «يوسف» وأخيه، وازدادت تلك النار تلهبا واضطراما بشعور الحنق والحقد إزاء ذلك الأب؛ المائل إلى الضعيف دون القوى!، والمفضل للصغير دون الكبير!.

إن طريقة التفكير هذه إنما تعكس بوضوح أسلوبا طفوليا في الفكر والحكم على الأمور، حيث إنهم لو كان لهم قلب أو لب لفهموا أن حب الأب وتقريبه لابنه الصغير؛ إنما هو أمر فطرى غريزي؛ لأن الأب يميل دوما إزاء الضعيف من أبنائه، فلو فهموا دلك!!، إذن لما كانوا قد حسدوا الصغير أو حنقوا على أبيهم الشيخ الكبير، ولما شبت نيران الغيرة في صدورهم، وتطاير منها الشرر حتى تناول الشرر «يوسف»، فقرروا التخلص منه.

ولقد وثبت فكرة القتل إلى رؤوسهم في بادئ الأمر، ثم خُفِّفت إلى فعل النفي، والإبعاد، والتغريب.

ذلك أن الشجاعة والجرأة كانتا تنقصانهم؛ فهم أجبن من أن يُظهروا العداء فيقتلوا عدوهم، حتى وإن كان عدوهم طفلا لم يرتق إلى صبى بعد، فلذلك عدلوا عن رأيهم بقتله فى آخر الأمر، ثم أبرموا أمر إلقائه في غيابة الجب.

obeikan.com